المحاضرة الأولى

1- مدخل مفاهيمي:

1-1- تعريف النظرية التربوية: كلمة النظرية مشتقة من الفعل (نظر)، ومعناه: حاول فهمه وتقصّي معناه وحقيقته بالفهم والتجريب والاختبار، وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه تعالى: "**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**" (سورة يونس: 101)، وتتكرر الدعوة إلى النظر في تركيب الإنسان والحيوان والنبات، وحال المجتمعات والحضارات في الكثير من الآيات القرآنية. نقصد بالنظرية التربوية كل تفكير يتناول بالتحليل مُشكلات التربية ويُقدم اقتراحات للتطوير والتحسين والتغيير والتجديد، وهي مرفقة ومدعمة بخلفية من الأفكار والمفاهيم المنظمة والمنسجمة بشكل منهجي ك: غايات وأهداف التربية، التعلم، التعليم والتدريس، المعلم مكانته كفاءاته، المناهج التربوية والبرامج التعليمية وعلاقتها بفلسفة وقيم المجتمع.

وهي صورة أو وصفة جاهزة تعكس الواقع ومتطلباته، تسعى إلى التغيير والإصلاح المنظومة التربوية.

1-2- وظيفة وأهداف النظرية التربوية: إذا كانت النظرية التربوية والتي هي جزء من النظرية الاجتماعية، كونها مجموع من المبادئ المترابطة التي توجه المبادئ المترابطة التي توجه العملية التربوية وتحكم الممارسات التعليمية.

فإذا كانت النظرية العلمية وصفية وتفسيرية في الأساس، فإن وظيفة النظرية التربوية–كما يقول بول هيرست – هي التشخيص والعلاج. وإذا كانت النظرية العلمية تحول وصف وتفسير ما هو قائم، فإن النظرية التربوية تصف وتقرر ما ينبغي عمله مع الناشئة، وتوجه وترشد الممارسات التربوية .

وتتسم النظريات التربوية بجملة من الأهداف تجعل لها أهمية مرموقة في دراسة الظاهرة التربية، ولعل من بين أهم هذه الأهداف ما يلي:

– دراسة الظواهر التربوية من حيث طبيعتها وما تتسم به من خصائص وسمات، والتي بفضل هذه الأخيرة تجعل منها موضوعا متميزاً لعلم الاجتماع التربوي.

– التعرف على الوقائع الثقافية والاجتماعية والشخصية المرتبطة بالظاهرة التربوية في نشأتها وتطورها.

– فهم طبيعة العلاقات التي تربط الظواهر التربوية بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها من الظواهر الاجتماعية في المجتمع.

– الكشف عن أبعاد أو الوظائف الاجتماعية،التي تؤديها الظواهر والنظم التربوية بالنسبة للجوانب الاجتماعية والثقافية في المجتمع.

– تحديد المضمون الأيدلوجي للتربية وآثاره على العمليات التربوية.

– تحديد القوانين الاجتماعية العامة التي تحكم الظواهر التربوية وما يرتبط بها من وقائع اجتماعية وثقافية وشخصية.

– تحليل التربية كوسيلة للتقدم الاجتماعي.

2- المشهد التربوي في نهاية القرن العشرين: مما لا شك فيه القرن العشرين أفرز علوما تربوية متنوعة، فظهرت مدارس واندثرت أخرى وتم إحياء بعث مدارس ونظريات قديمة كان الزمن قد عفى عنها، وما نحن فيه اليوم كان نتاج جهود كبيرة ومضنية ومخاض عسير، ويتحتم علينا القيام بقراءة موضوعية ومتأنية للمشهد التربوي في القرن الماضي الذي ترك أثرا في بالغاً في رسم السياسات التربوية لمعظم بلدان العالم وكيف أثرت النظريات التربوية خاصة الغربية منها، وإحداث نقلة نوعية في مفاهيم التربية وأهدافها

3/ النظريات التربوية الغربية ومذاهبها الفكرية:

تمهيد: إن المتأمل والدارس لمختلف النظريات التربوية الغربية، يجد أنها اتسمت بالتنوع من حيث نظرة المفكرين والفلاسفة والعلماء الغربيين للتربية، وهي في المحصلة عبارة عن مجموعة من الآراء والأفكار البشرية أطلقها الفلاسفة والمفكرون على تنظيم العلاقات التربوية في مجتمعاتهم من أجل إعداد الإنسان في جميع مجالات وجوانب الحياة "، ومن خلال اطلاعنا على بعض المصادر والمراجع التي تناولت هذا السياق أن تلك النظريات التربوية الغربية انبثقت في حقيقتها عن فلسفات مادية، وتصورات علمانية، ومعظم روادها وفلاسفتها من ذوي الاتجاهات المادية والعلمانية، وارتكزت بشكل عام على رؤى وأفكار بشرية أطلقها هؤلاء الفلاسفة على التربية، وقد بني البعض منهم هذه الرؤى على نظريات سبقتها في العصور القديمة، أو بما يخدم مصالح واضعيها في ظل أوضاع بيئية معينة.

3-1/ جذور وأسس النظريات التربوية الغربية: لو قمنا بقراءة متأنية في أصول وجذور النظريات التربوية الحديثة من خلال النظريات الكونية والعلمية، لوجدنا أن أصلها وثني ملحد يستمد أفكاره من الحضارة اليونانية القديمة، وبعد ظهور الشريعة النصرانية والتي تم تحريفها، حيث فرضت على الناس اعتقادات باطلة، كقولهم أن رجال الدين (الأحبار والرهبان) هم كلمة الله المقدسة التي لا يجوز لأحد أن يخالفها بأي حال من الأحوال. والتربية الكنسية النصرانية كانت أول وأهم ما تفترضه أن تقتل في الإنسان مواهبه، ومشاعره، وتطلعاته إلى الأفضل في هذه الحياة الدنيا، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**﴾[سورة الحديد:27] ، فابتدعوا الرهبانية التي تقتل في الإنسان أي تطلع للعيش في هذه الحياة الدنيا كما أمر الله، وكما يريد الإنسان أن يعيش بحكم الفطرة التي فطره الله عليها، وتنطعوا في الدين وغالوا فيه وتشددوا ثم بعد ذلك ضلوا عن السبيل والصراط القويم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير أواخر سورة الفاتحة: "المغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارى" **(حديث نبوي شريف).**

3-2/ مذاهب النظريات التربوية الغربية:

أ/ المذهب المثالي: النظرية التربوية المثالية هي صدى للفلسفة الأفلاطونية التي تزعم بوجود عالمين، العالم المحسوس الذي يتألف من الأجسام أو الماديات، والعالم المعقول وهو يتكون من الموجودات المجردة، تلك النظرية تنطلق أساساً من الصدارة المطلقة للروح على المادة، وهي تفضي إلى تصرف تأملي يُهمل المشكلات الزمنية، وطبيعة الإنسان الأرضية، وتعنى أساساً بكمال الروح المثالي. انطلاقاً من هذه المعطيات يتجلى لنا الطابع النظري الذي يكتسيه التعليم في إطار النظرية المثالية؛ حيث إن الهدف من التربية يرمي

بالدرجة الأولى إلى تمترس العقل وتمسكه بالتراث الفكري والعقلي الذي خلفته الأجيال السابقة، بل اكتسب هذا التراث صبغة القداسة وأصبح يُنقل بحرفيته، وارتبطت موضوعات الدراسة بضرورات التراث بدلاً من ضرورات الواقع، وصارت صلتها الوثيقة بالماضي في تحوّل دون ارتباطها بالحاضر والمستقبل.

ب/ المذهب الطبيعي: إذ يركز على الجسد وما به من عواطف وغرائز وميول، فيمنحها أهمية بالغة، عكس المذهب المثالي تماماً. ويعتبر جون جاك روسو من رواد هذا المذهب، حيث يرى بأن اللجوء إلى علم النفس هو الإمكانية الوحيدة لتوفير المعيار الحقيقي لموضوعية البيداغوجي، ومما يؤخذ أيضاً على هذه المذهب حصر نطاق تربية الطفل بين سن الخامسة والثالثة عشرة وبشكل سلبي، لا يُعلَّم فيها الطفل شيئاً ولا يُربى خلالها أي تربية، بل يُترك لوحده مُحاطاً بأجهزة وأدوات من شأنها أن توسع مداركه، وسيتم التطرق بالتفصيل إلى نظرية جون جاك روسو في التربية وأهم مبادئها وأسسها.

ج/ المذهب البرجماتي: من أهم مميزاته أنه ينظر بعيداً عن الأشياء الأولية والمبادئ والقوانين والحتميات المسلّم بها، ويوجه اهتماماته نحو الغايات من الأشياء: الثمرات، النتائج، الآثار. فإن مركز الثقل في اهتمامه لا ينصبّ على الحقائق الثابتة، وإنما على ما يُحصله الإنسان من منافع يستثمرها في حياته العلمية حتى إنه ينظر إلى الحقيقة على أنها هي المنفعة، وما دام تيار الحياة متنامياً في سيره، فإن حقائق جديدة تُلغى وتتجاوز الحقائق القديمة، فلا شيء يبقى ثابتاً! وفي ضوء هذه القناعة فإن أصحاب هذا المذهب يرون أن التربية والنمو شيء واحد.

إن من عيوب هذا المذهب جعله الحياة الحاضرة محوراً وحيداً للتربية دون الالتفات للحياة المستقبلية، الأمر الذي جعله يفتقد قاعدة صلبة من المبادئ والأهداف الثابتة التي تضبط حركة الحياة، وتحمي الإنسان من التيه والقلق والتأرجح بين أحداث الحياة وتطوراتها المتلاحقة، وتلك نتيجة حتمية لإغفاله للجانب الروحي في الإنسان ورفضه للإيمان بما وراء المادة، **الإيمان بالله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وأن بعد هذه الحياة** حياة أخرى، وهذا ما حكم على نظرته للتربية بالدوران في حلقة مفرغة، فهي تدور مع حركة الحياة المادية حيث دارت من غير الاستناد إلى مبدأ عميق ومقياس دقيق تفصل بواسطته بين الغث والسمين، والصالح والطالح ضمن تراث الإنسانية المترامي الأطراف، وتنفذ بواسطته وراء أسوار الحياة المادية الضيقة.

تعليق: إن المتأمل في حال المذاهب الغربية السالفة الذكر يرى أن نظرتها لتربية الإنسان يجد أنها تمتاز بطابع النظرة الأحادية الجانب، التي تركز على بُعد واحد من أبعاد الكيان الإنساني على حساب الأبعاد الأخرى، فقد لمسنا كيف يُضخم المذهب المثالي جانب الروح على جانب الجسد بكل ثقله، مستهيناً بما يستشعر ذلك الجسد من حاجات، عازلاً الإنسان عما تموج به الحياة، مغرقاً إياه في صور وخيالات غريبة لا قِبَلَ له بها، مخرجاً إياه من فطرته التي فطره الله سبحانه وتعالى عليها، وهذا في مقابل المذهب الطبيعي الذي يعمل على العكس تماماً، فليس هناك في ظل ذلك المذهب مُثُلٌ عليا يتجه إليها، غير الانسياق وراء ما تمليه عليه الطبيعة واللهث وراء إشباع الغرائز والميولات، ولا مكانٌ لقوى العقل وضوابط الأخلاق، والثغراتُ نفسها تشكو منها النظرية التربوية البراجماتية؛ إذ إن إعداد الإنسان عندها هو الإعداد لحياة هادرة يتقلب

الإنسان بعنف وراء أمواجها المتلاطمة دون تحديد لقواعد ثابتة يحتكم إليها الإنسان. إن نتيجة مهمة يمكن استخلاصها مما سبق، وهي أن تضارب الأفكار والمواقف الذي تعبر عنها المذاهب والنظريات الغربية، هو برهان ساطع على أن المنطلقات التي تصدر عنها تلك النظريات خالية تماماً من اليقين العلمي، وإلا لانتهت إلى قناعات مشتركة حول قضايا الإنسان والمجتمع، فهذا التخبط الذي تعاني منه هذه النظريات وغيرها نابع من الجهل بحقيقة الوجود وحقيقة الإنسان والغاية من وجوده وخلقه، وهذا ما يؤكده أحد علمائهم ألكسيس كاريل حينما قال: "إننا لا نفهم الإنسان ككل... إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة، وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا، فكل واحد منا مكون من موكب من الأشباح، تسير في وسطها حقيقة مجهول". أو كقول إيليا أبو ماضي: "أتيت و لا أدري من أين أتيت...".

3-3/ النظرية التربوية في المنظور الغربي: إن عملية إعداد "المواطن الصالح" يعدُّ هدفاً تربوياً تسعى إليه جميع النظم التربوية، باختلاف مفاهيمها ومبادئها، لكن الاختلاف بين هذه النظم التربوية ينحصر في نقطتين أساسيتين هما: تعريف "**المواطن الصالح**"، أو بالأحرى تحديد مفهوم "الصلاح"، ثم الأسلوب أو الأساليب التي تعتمدها هذه الأنظمة لتحقيق هدفها.

أ/ المنظور الانجليزي: الفكر التربوي والمربون الإنجليز، يرون أن "المواطن الصالح" هو ذلك (***Gentleman***) الذي تسعى التربية إلى إعداده وتأهيله عبر مجموعة من العمليات والمراحل.

ب/ المنظور الفرنسي: يرى الفرنسيون إن "المواطن الصالح" هو المواطن المثقف ثقافة عامة، يستطيع بها أن يكون رجل مجتمع أو رجل صالونات.

ج/ المنظور الأمريكي: أما علماء التربية الأمريكيون فيرون "المواطن الصالح"، ذلك المواطن المثقف ثقافية تقنية، تؤهله ليلعب دوراً ما في الآلة الأمريكية، أي في المجتمع التقني الأمريكي.

د/ المنظور الشيوعي: أما في المجتمعات الشيوعية، فترى أن "المواطن الصالح" هو المواطن المؤمن بالعقيدة الشيوعية، والعامل بأحكامها. ومهما اختلفت النظريات التربوية في العالم، فإن الفكر السياسي، والاجتماعي الذي يسود أي مجتمع، يطبع الفكر التربوي لهذا المجتمع بطابعه الخاص المميز.

وبشكل عام فقد اختلف علماء التربية الغربيين في تعريف " **التربية**" اختلافا واسعا، كما اختلف غيرهم من العلماء في تعريفات العلوم الأخرى وهو أمر طبيعي وذلك لاختلاف الفلسفات التربوية التي تهيمن في مرحله تاريخيه معينة، ولتعقد العملية التربية ذاتها، ولاختلافها من مجتمع لآخر، ولتطورها عبر القرون وتغير مدلولها، وبالتالي ظهرت المفاهيم التالية:

– التربية هي " عملية تنشئة الطفل في جميع مراحل حياته، حتى يستطيع الاعتماد على نفسه، والاستغناء عن الآخرين" .

– التربية تعني "جميع الوسائل والطرق التي تسهم في إكساب الطفل ثقافة مجتمعه، أو مجموعة العادات التي تكون لدى الطفل أنماط سلوكه العقلي والاجتماعي والنفسي والخلقي" .

– التربية هي: "العملية التي تسهم في تنمية جوانب الفرد كلها أو إحداها".